تعريف :

الخطابة هى فن القول الموجه إلى جمهور من الناس .

ومقتضى هذا التعريف أن يكون هناك ثلاثة جوانب :

الأول : هو المتكلم ، أو الخطيب .

الثانى : هو الموضوع ، أو الخطبة .

الثالث : هو الجمهور المستمع .

فإذا لم تجتمع هذه الجوانب الثلاثة ، لاتتحقق الخطابة ، فالحديث فى المذياع أو التليفزيون لايسمى خطبة ، ولا يسمى المتكلم حينئذ بالخطيب ، وذلك لعدم وجود الجمهور الموجود فى مواجهة الخطيب ، وكذلك لايسمى الحوار القائم بين متحدث وجمهور ، بالخطبة ، وذلك لكون الخطبة قولا يلقى على مستمعين لايجرى بينهم وبين المتحدث حوار أثناء الخطبة.

ولكلٍّ من هذه الجوانب شروط لابد من وجودها ؛ كى تكون هناك خطابة بالمعنى الصحيح ، أما الشروط التى يجب توافرها فى الخطيب ، فهى على النحو التالى :

شروط الخطيب

١ - **أن تكون مخارج الحروف لديه سالمة من العيوب** ، فلا يخرج الحرف إلا من مخرجه حتى لايأخذ الحروف صورة حرف آخر فيفسد معنى الكلمة ، كنطق السين (ثاء) أو العكس ، أو نطق الراء (غينا) وهكذا .

٢ - **أن يكون بصوته قوة تمكنه من إسماع الحاضرين جميعا** ، حين يتعذر استعمال مكبرات الصوت .

٣ - **أن يتسم الخطيب بالوقار أثناء إلقاء الخطبة** ، فلا يكثر من الحركات المثيرة للسخرية .

٤ - **أن يكون حسن المظهر** . فلا يخرج على المستمعين إلا بملبس يضفى عليه الوقار وتستريح إليه أعينهم .

** وأما شروط الخطبة فهى :

١ - ألا تكون طويلة مُملّة ، ولا قصيرة مُخلّة ، بمعنى أن تكون الكلمات كلها حول المعنى الذى قصده الخطيب ، فلا يفرّع الحديث . فالتفريع لايعين على تمكين المعنى المحورى فى أذهان المستمعين ، والكلام إذا كثر ينسى بعضه بعضا ، ولا يوجز فى ألفاظه على النحو الذى لايستبين به المستمعون ما يرمى إليه الخطيب ذلك ؛ لأن الخطابة إيضاح ، وتنوير ، وكشف عن المعانى ، وهذا مما لايناسبه الإيجاز ، بل يناسبه العرض الوافى ، والشرح الكافى ، فلا إطالة فى غير موضعها ولا إيجاز فى غير موضعه ، وللناس - جميعا - فى هذا الأمر تجارب . إذ يشكو كثير من الناس ، فى المحافل ، وخطب الجمعة من إطالة الخطباء فى حال يدعو إلى سأم السامعين وملالهم .

٢ - أن تجرى الخطبة فى تناسب تام بينها وبين الفكرة التى ألقيت من أجلها الخطبة ، فالخطبة فى موضوع عن (تنظيم الأسرة) مثلا - يجب ألا تخرج عن معنى تنظيم الأسرة ، والخطبة فى موضوع عن (السلام) ، يجب أن تدور حول معنى السلام وأثره ، والخطبة فى أمور الدين ، يجب أن يتناولها الخطيب فى الجانب الدينى الذى أراد تناوله ، دون خروج إلى جانب آخر ، وهكذا تجب الخطبة فى كل جانب يدعو إليه الخطيب .

٣ - أن تكون عباراتها ، وألفاظها على القدر الثقافى لدى المستمعين ، فألفاظ الخطبة فى قوم جهلاء ، غير الخطبة فى قوم بلغوا من الثقافة مبلغا كبيرا ، والخطبة بين أيدى العلماء ، تختلف عن خطبة تلقى بين طلاب العلم من التلاميذ أو نحوهم ، وفى هذا ما يكشف لنا مدى الوعى النبوى لدى رسول الله محمد ﷺ، حين قال : «خاطبوا الناس قدر عقولهم» [1] ؛ لأن ذلك أدعى إلى الفهم ، وأدعى إلى إدراك الغاية من الخطبة.

٤ - ألا يكون موضوع الخطبة من الموضوعات التى يحفظها جمهور المستمعين ، أو من الموضوعات التى سبق لهم أن سمعوها ، وأدركوها . فالمستمعون دائما يصيخون السمع للموضوعات الجديدة ، وانتباههم لايأخذ يقظته الكاملة إلا عند الموضوعات الجديدة التى لم يسبق لهم سماعها .

وإذا ماكان الموضوع غير جديد لديهم ، فعلى الخطيب أن يجذبهم إليه بعرضه عليهم فى ألفاظ وتراكيب تغرى بالاستماع ، وأن ينقب عن الأفكار التى تغرى بالإنصات إليه .

---

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال (٢٩٢٨٣) وعزاه للديلمي .

وأما شروط الجمهور فهى : من الشروط التى تخضع للوعى العام عند الناس ، وتخضع للسلوك العام الذى نما وشاع بين طبقات الناس ، وهى شروط - فى أصلها- ترجع إلى درجة التحضّر التى يبلغها مجتمع من المجتمعات .

وكل الشروط فى هذا الجانب تلتقى عند شرط جامع هو : أن يكون المستمعون جميعاً فى حال من الإنصات التام الذى يمكن الخطيب من أداء الخطبة ، ويمكنهم من فهم ما يقوله الخطيب .

وبالضرورة، فإن هذا الشرط - وهو شرط الإنصات - يلزمه مراعاة المستمعين لليقظة ، والانتباه إلى ما يقوله الخطيب .

هذا ونسأل الآن : **بأى لغة تكون الخطبة العربية ، التى يلقيها خطيب عربى؟**

من المؤلم والمؤسف أن كثيرا من الخطباء لايشغلهم الحرص على اللغة العربية حين يلقون كلاما على مستمعيهم .

ومن المؤلم المؤسف ألا تكون اللغة العربية هى ما يجب اتباعه فى كل ما نتعامل به فى مجال الخطابة ، وأحاديث الإذاعة ، والتليفزيون ، والصحافة ، فكم سمعنا من الخطباء من يعرض لقوله بأساليب جعلت للّغة العامية نصيبا كبيرا فى ألفاظها وما هو بالأمر اللائق فى حياتنا العربية ، التى تعتبر اللغة العربية شرطا رئيسيًا فى عبادتنا لانقول فى صلاتنا إلا قولا عربيا فصيحا ، وحيث لانقرأ القرآن إلا بلغته الفصيحة التى نزل بها .

والخطابة مجال من المجالات التى يجب أن نستغلها فى ترسيخ الاستعمال اللغوى العربى الفصيح .

وفى الصفحات التالية ، نماذج من بعض الخطب العربية ، قصدنا بها الإشارة إلى ضرورة الحرص على اللغة العربية فيما نذيعه على الناس ، كما قصدنا بها أن يعرف قارىء هذا الكتاب ، كيف كانت اللغة العربية قادرة على إيراد المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة ، دون الحاجة إلى تطويل فيه ملل ، أو تقصير فيه خلل .

وكما عرفنا من مقالة المنفلوطى فى مقاله السابق بعنوان (الإنشاء) فإن خير ما نقوّم به أقلامنا ، وألسنتنا هو ما ندرّب به القلم واللسان من أقوال الفصحاء العرب، الذين ملكوا زمام اللغة الفصيحة وملكوا حدود اللفظ الصحيح الفصيح .

من هنا ، كان من الضرورة أن نعرض لهذه النماذج ؛ ليدرك منها القارىء كيف يكون التعبير ، وكيف تكون الكلمة .

خطبة الرسول عليه الصلاة والسلام
فى أول جمعة فى المدينة[1]

*****

«الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادى من يكفره . وأشهد ألاّ إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة[2] من الرسل ، وقلّة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنوّ من الساعة وقُرْب من الأجل . مَنْ يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومَنْ يعصهما فقد غوى وفرّط وضلّ ضلالاً بعيدا .

وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحضّه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله .

فاحذروا ماحذّركم الله من نفسه ، ،ولا أفضلَ من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكراً . وإن تقوى الله - لمن عمل على وجل ومخافة من ربه - عونُ صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ، ومَنْ يُصلح الذى بينه وبين الله من أمره فى السر والعلانية لاينوى بذلك إلا وجه الله يكُنْ له ذكرا فى عاجل أمره ، وذُخْرًا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدَّم ، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدًا بعيدا . ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد . والذى صدق قوله ، وأنجز وعده لاخُلْفَ لذلك ، فإنه عز وجل يقول : «ما يُبَدَّل القول لدَىّ وما أنا بظلام للعبيد » . فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله ، فى السر والعلانية «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويُعْظم له أجراً » ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما ، وإن تقوى الله يُوَقِّى مقته ، ويُوَقِّى عقوبته ويوقى سخطه ، وإن تقوى الله يُبَيِّضُ الوجوه ويُرْضى الرب ، ويرفع الدرجة . خُذُوا بحظكم ولاتفرطوا فى جنب الله . قد علّمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ليعلَمَ الذين صدقوا ويعلَمَ الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادُوا أعداءه ، «وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » وسمّاكم المسلمين «ليَهْلِكَ من هلك عن بَيِّنة ويحيى مَنْ حَىَّ عن بينة » ولاقوة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله ، واعملوا لما بعد اليوم ، فإنه مَنْ يُصْلح ما بينه وبين الله يَكْفِه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه. الله أكبر ، ولاقوة إلا بالله العظيم .

---

(١) د. شوقى ضيف (تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى) .

(٢) الفترة : هى الزمن الذى لم يرسل الله فيه رسولا .

مِنْ خطبته عليه السلام
فى حِجَّة الوادع [1]

*****

«الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله مِنْ شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ الله فلا مِضلَّ له . ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له ، وأشهدُ ألاّ إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

أوصيكم - عباد الله- بتقوى الله- وأحثُكُمْ على طاعته ، واستفتح بالذى هو خير

أما بعد أيها الناس ، اسمعوا منى أبيِّنْ لكمْ ، فإنى لا أدرى لعلِّى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا .

أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كُحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهدْ .

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها . وإن ربا الجاهلية موضوع[2] وإن أول ربا أبدأ به رباعمىّ العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة ، غير السِّدانة[3] والسِّقاية[4] والعَمْدُ قَوَدٌ [5] وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر وفيه مئة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعْبَدَ فى أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم أيها الناس ... «إنما النسىء[6] زيادة فى الكفر يُضلَّ به الذين كفروا يُحلُّونه عاما ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرَّم الله » إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم» : ثلاثة متواليات وواحد فرْدٌ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادي وشعبان ... ألاَ هل بلغت ؟ اللهم أشهد .

---

(١) المصدر السابق . (٢) موضوع : ساقط . (٣) السدانة : خدمة الكعبة .
(٤) السقاية : سقاية الحجاج . (٥) العمد : القتل العمد ، والقَوَدُ : قتل القاتل .
(٦) النسئ : هو شهر المحرم . كانوا يحرمون القتل فيه عاما ويحلون القتل فيه عاما .

أيها الناس . إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق . لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ... ولا يأتين بفاحشة فإن فَعَلْنَ فإن الله قد أذن لكم أن تَعْضُلُوهن[1] وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مُبرِّح[2] فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

*****

خطبة أبى بكر الصديق[3]
حين تمت له البيعة بالخلافة

«أيها الناس ، إنى قَدْ وُلِّيت عليكم ولست بخَيْركُم ، فإنْ رأيتمونى على حَقٍّ فأعينُونى ، وإنْ رأيتمُونى على باطلٍ فسدِّدونى[4] أطيعونى ما أطعتُ الله فيكم ، فإذا عَصَيْتُه فلا طاعةَ لى عليكم .

أَلاَ إنّ أَقْواكمُ عندى الضعيفُ حتَّى آخُذَ الحقَّ له . وأضْعَفَكُمْ عندى القويُّ حتى آخذَ الحقَّ منه . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ».

ومن خطبه الوعظية :

«إن الله عزَّ وجلَّ لايقبلُ من الأعمال إلا ما أُريدَ به وجهه فأَريدُوا الله بأعمالكم ، واعلموا أنَّ ما أخْلَصْتُم لله مِنْ أعمالكم فطاعةٌ أتيتموها ، وحظٌّ ظَفِرْتم به ، وضرائب أديتموها ،وسلفٌ قدمتموه من أيامٍ فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم .

اعتبروا عبادَ الله بمَنْ ماتَ منكم ، وتفكَّروا فيمنْ كان قبلكُم أين كانوا أَمْس وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ أين الذين بَنَوْا المدائن وحصَّنُوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خَلْفهم ، فتلك مساكنهم خاويةً ، وهم فى ظلمات القبور، هل تُحِسُّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم رِكْزاً [5] ألا إن الله لاشريك له ليس بينه وبين أحد مِنْ خلقه سبب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه به سُوءًا إلا بطاعتهِ واتباع أمره.

واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لايُدْركُ إلا بطاعته ، أَمَا إنه لاخير بخير بعده النار ، ولاشرَّ بشرٍّ بعده الجنةُ ».

---

(١) تعضلوهن : تضيقوا عليهن . (٢) غير مبرح : خفيف .
(٣) المصدر السابق . (٤) سدِّدُونى : أى أرشدونى إلى السداد . والسداد هو الأمر الصحيح .
(٥) ركزا : صوتا خفيفا.

الإحسان والبر والعدل (*)

*****

أيها الإخوة الحاضرون .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد :

فحين أراد العرب التعبير عن معنى البرِّ لم يجدوا أنسب من أن يشتقوا اسمه من الجمال ، فإن الإحسان مأخوذ من مادة الحسن بمعنى الجمال .

يقال : أحسن إحسانا ، إذا أتى بشيء حسن ، ثم تُعُورِفَ الإحسان فى معنى فعل الخير ، والإمداد بالمال والمعونة ، وسمى ذلك بالجميل أيضا .

كأن الحسن الجميل على الحقيقة ليس إلا البر الذى يصنعه الإنسان المحسن والخير الذى يسديه[1] الإنسان الكريم .

وإذا كان الحسن أكثر ما يقال فى المستحسن بالبصر ، فإنه فى الحقيقة أعمّ من ذلك ، فهو المبهج المرغوب فيه ، الملائم للطبع السليم ، وقد تكون بهجته ولذته من ناحية الحواس الظاهرة ، فذلك هو الجمال الحسِّى ، وقد تكون بهجته من ناحيه الحسِّ الباطن المدرك للمعانى ، وذلك هو الجمال المعنوى .

والبصيرة الباطنة كما يقول الغزالى . أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشد إدراكا من العين ، وجمال المعانى المدرَكَةُ بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للإبصار . وقد قالوا : خلق حسن ، وسيرة حسنة ، وهذه أخلاق جميلة ، ويراد بالأخلاق الجميلة : العدل ، والشجاعة ، والكرم ، والمروءة ، وسائر خلال الخير [2] .

وإذا كان العدل جميلا والكرم جميلا فإن الإحسان فوق العدل وفوق الكرم العدل هو أن يعطى الإنسان ما عليه ، ويأخذ ماله ، أما الإحسان فهو أن يعطى أكثر مما عليه ، ويأخذ أقل مما له ، ففيه زيادة عن العدل فى المعنى ، وفيه زيادة فى الفضل ، وهو يقوم على الإيثار ، وهو أرفع درجات السخاء .

ويوضح معنى الجمال فى الإحسان ، اتصال المحبة به ، وفى الأدب العربى شواهد على ذلك لايحصرها العد . فمن شعرهم :

(*) للشيخ مصطفى عبد الرازق . (وكان هذا موضوع خطبة ألقاها فى أغسطس ١٩٢٧ بمدينة طنطا) فى احتفال لجمعية الاتحاد والإحسان والشيخ مصطفى ، من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، وتلقى دراسته فى جامعتى باريس وليون بفرنسا وفى عام ١٩٣٨ عين وزيرا للأوقاف ، وفى ١٩٤٥ عين شيخا للأزهر . توفى سنة ١٩٤٧ .

(١) يسديه : يقدمه . (٢) خلال : جمع خُلة وهى الصفة الطيبة .

وكل امرىءٍ يُولِي الجميلَ مُحَبَّبٌ وكل مكان يُنْبِتُ العزَّ طيبُ[١]

وفى الحديث الشريف «**اللهم لاتجعل لفاجر علىَّ يداً فيحبه قلبى**»[٢] إشارة إلى أن حب القلب للمحسن ، هو اضطرار لايمكن دفعه . ولم يجعلوا للمحسن الكريم عدوا إلا إبليس ، باعتبار أن إبليس يعرف أن الإحسان أصل من أصول النجاة وهو لايحب للناس النجاة .

وفى الإحسان حب الكريم للضعفاء الذين يتولاهم ببره ، فإن للمعروف الذى يكون فى موقعه لذةً يميل إليها الطبع السليم .

ومن أجل اتصال الإحسان بالحب ، ألح علماء الأخلاق فى بيان أثر الإحسان فى هناء الأمم ورخائها ، وبيان ما يصيب الأمم من الشر إذا فشا[٣] الشح بين أهلها ، فإن الإحسان مناط[٤] المحبة ، والمحبةعمادُ السِّلْم ، ورسول السكينة . والشح مجلبة التحاسد والتقاطع ، ولقد خَشِىَ كثير من المفكرين فى هذه العصور أن تدمر المدنية الحديثة عواطف الرحمة والإيثار[٥] بما يخالط هذه المدنية من نزعات الأثرة والشح والقساوة فى التزاحم على موارد الحياة والرّفه . وظنوا أن فى ذلك دمارا لهذه المدينة نفسها .

والجماعة أقدر على البر ، وأثبت فيه قدماً . فهى تؤدى للبائسين وذوى الحاجة أضعاف ما يؤدى كرم الفرد وإحسانه .

لن تبيد[٦] عواطف الخير بين الناس مادام فى الناس جماعات تحتضن عواطف الخير وتصرف[٧] للإحسان جُهْدَها .

---

(١) يولى : يقدم . (٢) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال وعزاه للديلمى عن معاذ .
(٣) فشا : انتشر (٤) المناط : هو موضع التعليق .
(٥) الإيثار : هو تفضيل الآخرين على النفس ، وهو عكس الأثرة ، التي هى الأنانية وتفضيل الذات على الآخرين .
(٦) تبيد : تهلك . (٧) تصرف : توجّه .